في يوبيل أنستاس الذهبي

قصيدة شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء جبران مسعود الزهاوي

١ سلام على عهد الرقي المحبب سلام على حزب الشباب المهذب
٢ سلام على المستشرقين وعطفهم على النخبة الانجاب من نسل يعرب
٣ واني محيي العروبة انهـا قد استيقظت من نومها بعد أحقب
٤ وقد اخذت تعدو لتبلغ سؤلها برغم الرزايا والشقاء المخيب
٥ وان لابنـاء العراق تأهبا ولا تكتب الآمال في المتأهب
٦ اذا جن ليل الخطب اوطال ساجيا تألق منهم كوكب بعد كوكب
٧ لهم امل ان يدركوا شأو غيرهم وان شط عنهم وهو افضل مأرب
٨ فساروا على فجر من الحق صادق وليس على برق من الوعد خلب
٩ ولا ادعي انا بلغنـا مرادنا ولكننـا فوق الطريق المقرب
١٠ فيـا عين قري بالذي تشهدينه ويا نفس سري بالحفاوة واطربي
١١ واني لارجو للعراق تقـدما يضاهي هبوب العاصف المتوثب
١٢ واني اذا هبت من الغرب نفحة لاول مفراح بهـا ومرحب
١٣ وما ان نما غرس الرجاء من الحيا ولكنما من دمعي المتصبب

❀❀❀

١٤ ومرت ليال كنت فيها لشقوتي وحيدا اقاسي غيهبا تلو غيهب
١٥ لقد كان مني الروح فيها معذبا ولكن ضميري لم يكن بمعذب
١٦ ويحسب قوم في التعصب رشدهم وما اخر الاقوام غير التعصب
١٧ وهل يتساوى القصد بين مشرق ليدرك غايات الهـدى ومغرب
١٨ وكنت ركبت الصعب ابلوه جاهدا فما قل مجهودي ولا ذل مركبي
١٩ عشية ما في الرافدين سلامة ولا العيش في كل العراق بطيب
٢٠ عشية لا عبـد الحميد بسـامع دعائي ، ولا مني فروق بمقرب
٢١ وما كان ما تأتي الشعوب بثورة ولكنه حمى الدم المتسلهب
٢٢ فمنهم بريء مذنب من خيـانة اتاها ومنهم مذنب غير مذنب
٢٣ ولم تنتفع بالعـلم إلا صبـابة تجرعهـا مثر بمشهد مترب

٢٤ وما ذل قوم ابرموا وحدة لهم وان لم يكونوا ينتمون الى اب
٢٥ وما الارض إلّا للتناحر حومة ولا فوز إلّا للفريق المدرب
٢٦ ولا عار في زيغ الفتى وشذوذه ولكنه في كذبه والتذبذب
٢٧ ولست ابالي ما به يشتمونني وان كان في قلبي كلسعة عقرب
٢٨ اقول لمن ارغى ليرعبني صه فما انا خوار ولا انت مرعبي

٢٩ ولا شيء يسمو بالبنين الى العلا كتكريمهم للعلم في حفلة الاب
٣٠ حفلنا باستاذ تبحر في اللغى ولا سيما الفصحى سليلة يعرب
٣١ وان انسنا ما هو السند الذي همى علمه للظامئين كصيب
٣٢ ترهب يرعى العلم خمسين حجة فأكبر به من عالم متزهب
٣٣ تلقى بما ابقى ثناء معطرا وهل يتلقى طيب غير طيب
٣٤ وانا بهذا الحفل نوفيه حقه وانا نحييه تحية معجب
٣٥ وقد سر قلب الشرق والغرب حفلنا بيوبيله الجم الفخار المذهب
٣٦ تكرم في تكريمه العلم والحجى وتكبر فيه الخلق في كل مطلب
٣٧ وكم كلم كانت من الشك في دجى فاوضحها للطالب المترقب
٣٨ توصل بعد البحث منه لاصلها وبعد جهاد منه في الفحص متعب

٣٩ تقدمت شيخا ما تقدمت فلا تخف وعيدا واكمل ما بدأت وعقب
٤٠ وانك انت اليوم غير مثقف وانك انت اليوم غير مهذب
٤١ وقل بالسلا ما ينبغي ان تقوله ولا تلتفت للجاهل المتعصب
٤٢ أتخشى وانت اليوم في عهد فيصل مليك العراق الهاشمي المحبب
٤٣ شفى قادرا او كاد داء جمودهم برأي الطبيب العبقري المجرب
٤٤ وكنا جميعا قبله رهن محنة نحاول تحقيق الرجاء المغيب
٤٥ رأيت بني الحاجات قد نبتوا ضحى على بابه نبت الحمام بمعشب
٤٦ له من ذكاء العقل في العين ومضة متى صدمت عين المخاطب تغلب

٤٧ ورب قصيد فيه تروى كانها اذا خطرت ابياتها سرب برب
٤٨ واني الى رأس الوزارة محسن لمجد ثناء عرفه جد طيب
٤٩ همام اذا ما الدهر قطب وجهه كفاه بوجه منه غير مقطب
٥٠ يقوم باعباء الامور ثقيلة بحزم القوي اللين المتصلب
٥١ ويكرم اهل العلم من كل نحلة ومن كل دين ثم من كل مذهب

٥٢ شدا الشعر بعد الصمت يطرب امة فيا شعر قد احسنت فاشد واطرب
٥٣ وليس بفعل المرء يكبر شعره ولكن بما في روحه من تكهرب
٥٤ وللشعر عين ماؤها متدفق متى يرأت من صيابة القلب يعذب
٥٥ وكنت له جادت بين خطى به يعنفني في قرضه ومصوب
٥٦ يؤنب في تجديدي الشعر صاحبي فيا صاحبي افكر جيدا ثم انب
٥٧ وقال أتاقى في الفسيل تطيرها تراه على النخل الرفيع المشذب
٥٨ أليس الجديد ابن القديم الذي شدا بما القوم بعد القوم من عهد يعرب
٥٩ فقلت له ما انت للحق خاضع واني لمسا تدلي به في تعجب
٦٠ فانا واياهم لكالخمر لا ترى سناها بماء الكرمة المتحلب
٦١ شعرنا بما لم يشعر القوم قبلنا شعور السليل الناهض المتهذب
٦٢ وان الجديد الغض في عنفوانه كبكر كعاب والقديم كشيب
٦٣ ولست على العالات اجحد فضلهم ولكنما تقليدهم غير مجدبي
٦٤ فكذبني للجهل فيما صدقته واي سريح ما له من مكذب
٦٥ وما ذا علي اليوم والحق غايتي اذا كان لا يرضي الجماهير مذهبي
٦٦ وقد كان يهدي الشعر للحق حزبه فلم يك حزب الشعر بالمتنكب
٦٧ وقد كان في ادواره الشعر كلها يساير في موكب ثم موكب
٦٨ ولولا ضياء الشعر ما فزت بالهدى ولولا كفاء الشعر ما حزت منصبي
٦٩ ولا خير في شعر اريد انتقاصه ولم ينتفز للدفاع ويغضب
٧٠ انا اليوم من كر الحوادث اشيب ولكن شعري كله غير اشيب

٧١ وياشعر انت اليوم اكبر مرشد لمن ضل عن قصد الطريق المذهب
٧٢ ويا شعر حرر ماتشاء من النهى ويا شعر بعد من تشاء وقرب
٧٣ ويا شعر ان القلب انت سفيره الى كل قلب واقر الحزن مكتئب
٧٤ ابث شعوري فيسك غير مقلد واعرض آمالي ورأيي ومذهبي
٧٥ وانك طورا عندليب مغرد وطورا عقاب قد اول بمخلب

تذكر الآن ماجاء في اليوبيل منذ اوائله شيئا بعد شيء :

لجنة يوبيل الكرملي

اعتاد ابناء الغرب ان يكرموا عظماءهم من علماء وشعراء وادباء ، اعترافا بفضلهم وتقديرا لخدماتهم واتعابهم الكثيرة . والصحف الغربية مشحونة بوصف الحفلات العظيمة التي يقيمها وطنيوهم لتبجيل رجالهم . وقد انتجت هذه الفكرة ثمرة يانعة . فانتقلت الى الديار الشرقية وطفق ابناؤها يشعرون بما لعظمائهم من حق عليهم .

وقد توالت على الامة العربية مصائب ونكبات كادت تورِدها الحتف وتلحدها ابد الدهر لولا اللغة العربية التي كانت السبب الوحيد لم شعث العرب وجمع شتاتهم.

ولما كان الاب انستاس ماري الكرملي العربي اروعة ومحتدا ونشأة قد خدم لغة الناطقين بالضاد خدمة تقارب نصف قرن رأى فريق من المفكرين اعترافا بخدماته وتقديرا لها ان يكرموا ذاك الذي ابيضت لمته وعارضاه في البحث والتنقيب عن كنوز اللغة . وقد انشئت لجنة لتكريمه قوامها كل من حضرات السادة الآتي ذكرهم :

صاحب المعالي يوسف افندي غنيمة وزير المالية — معروف افندي جياووك نائب اربل
الحاج عبداللطيف جلبي آل ثنيان — المحامي شاؤل افندي اسود
يعقوب افندي نعوم سركيس — احمد حامد افندي الصراف
السيد طه افندي الراوي — محمود افندي الملاح
سليم افندي حسون — المحامي طاهر افندي القيسي

وانتخبوا بالاجماع شاعر العرب الاستاذ جميل صدقي افندي الزهاوي رئيسا

لها وقد عينوا يوم الاحتفال ١٦ ايلول من سنة ١٩٢٨ سكرتير اللجنة

بغداد في ١٤ حزيران ١٩٢٨ احمد سامد الصراف

دعوة الزهاوي

﴿ رئيس لجنة يوبيل الكرملي ﴾

الغرب قد سبق الشرق ، والشرق قد انتبه وصار يحاول ان يلحق بالغرب. وقد مضى اليابان في سبيل التقدم كقنبلة خرجت من فم مدفع ضخم وهبت العروبة من رقدتها . ونفضت عنهـا غبار الكسل ، فاخذت تسرع الخطى الى الامام برغم الاثقال التي تثبطها . علة ان حياة الامم في تقدمها وان الامة التي لا حراك لها في هذا السباق العام تسحقها الارجل . والامل ان تكون في مقدمة الامم الشرقية ، فترجع تراث اجدادها من مجد ضائع وتزيد على ذلك المجد التليد مجدا طريفا فتثبت للملأ انها تستحق الحياة وانها سوف تحيا ثم تحيا .

ولما كان العلامة الاب انستاس ماري الكرملي من الذين انجبهم العراق نابغة في العلوم العربية وقد خدم اللغة بصدق خمسين عاما خدمة لا يجحدها كل من طبعت نفسه على الانصاف ، وكان من تباشير كل نهضة صادقة ان تقدر الامة جهود علمائها الفطاحل ، رأى فضلاء العراق ان الواجب يدعوهم الى تكريمه ، اعترافا بفضله الجم فتألفت في بغداد لجنة لهذا الغرض الشريف وشرفتني برئاستها فجئت ادعو باسم اللغة العربية المحبوبة رجال العلم والادب في العراق وبقية الاقطار العربية من شعراء وعلماء وكتاب الى الاشتراك في تكريم الاب الذي نكرم فيه العلم واللغة . وذلك في ١٦ ايلول القادم راجيا الحضور في بغداد عند حلول الموعد ان امكنهم ذلك ، او ارسال ما تجود به قرائحهم من نظم او نثر طالبا من الله تعالى ان يوفق الامم الشرقية عامة ، والامة العربية خاصة ، لكل خير وان يسدد خطاها حتى تصل الى مصاف الشعوب الراقية الجديرة بالحياة .

بغداد في ٢ تموز سنة ١٩٢٨ جميل صدقي الزهاوي

﴿ ملاحظة ﴾ وقد نقل يوم الحفلة الى ٧ تشرين الاول (اكتوبر) لاسباب يطول ذكرها . والآن نورد صورة الدعوة التي وزعت قبل يوم اليوبيل باسبوع ثم صورة المنهاج يعقبها الخطب كما تليت في اليوم المذكور.

﴿ حفلة يوبيل العلامة الكرملي ﴾

﴿ باشراف معالي وزير المعارف ﴾

اتشرف بدعوة . . . الى حضور حفلة يوبيل العلامة الكرملي في دار فخامة رئيس الوزراء يوم الاحد الموافق ٧ تشرين الاول ١٩٢٨ في الساعة ٤ بعد الظهر ولكم مني الاحترام .

رئيس لجنة يوبيل الكرملي
جميل صدقي الزهاوي

بغداد (العراق)

﴿ منهاج ﴾

﴿ حفلة يوبيل العلامة الكرملي ﴾

١ــ كلمة ترحيب للاستاذ الزهاوي .
٢ــ بيان سكرتير لجنة اليوبيل احمد حامد الصراف .
٣ــ كلمة المجمع العلمي بدمشق يتلوها الاستاذ الزهاوي .
٤ــ ترجمة المحتفل به لرفائيل بطي .
٥ــ قصيدة الاستاذ الزهاوي .
٦ــ كلمة صاحب المعالي وزير المعارف .

بغداد في ٧ تشرين الاول « اكتوبر » سنة ١٩٢٨

شكر وترحيب

اشكر ما للسيد الجليل المبجل رئيس الوزارة فخامة محسن بك السعدون من العناية بالعلم والعلماء كما تفعل الوزارات الرشيدة واكبر برهان على ذلك هو اقامته هذه الحفلة المباركة في داره العامرة باشراف وزير المعارف المحترم معالي الاستاذ توفيق بك السويدي وارحب بالذين اجابوني على دعوتي فاولوني الشرف بحضورهم من وزراء فخام ونواب كرام ووجوه وعلماء ومحررين اكفاء .

وما الحفل بيوبيل العلامة الكرملي إلّا حفل بالعلم في شخصه الذي خدم لغة

العرب اكثر من خمسين سنة بامانة وصدق وهو الحفل الذي اذعنا قبل اشهر بدأه فرددت صداه الصحف في الشرق والغرب وتوالت من كبار المستشرقين في عواصم اوربة ومن المجمع العلمي العربي في دمشق ومن مصر وسورية وايران رسائل وبرقيات وقصائد يهنئون بها العراق ويستدلون على رقي اهله بتقديرهم لعلمائهم مهما اختلفت اديانهم ولا غرو فان الامة اخذت توسع خطاها لبلوغ شأن الذين سبقوهم في مضمار الحياة العلمية من الامم الراقية بعد ان فقهت ما للعلم من الشأن في ترقية المجتمع وذلك برعاية جلالة ملكها المعظم فيصل الاول جعل الله عهد حكومته سلاما على الامة وعصمة لها !

فليحي الملك المعظم فيصل الاول ولتسعد الامة في ظل عرشه الوارف !

كلمة كتوم اللجنة (سكرتيرها)

في ظل عرش صاحب الجلالة ، وفي بيت فخامة رئيس الوزراء ، وباشراف معالي وزير المعارف ورئاسة فيلسوف العراق وشاعره الاعظم وبمحضر هذه الوجوه الكريمة نكرم اليوم شيخا من شيوخ اللغة وعلما من اعلام الادب ورجلا انقطع فيدير هنزويا خمسين سنة يبحث خلالها في كنوز اللغة الفصحى ويدافع عن منزلتها وكرامتها دفاع الصب المغرم عن حبيبته بل دفاع الكمي الشريف عن عرضه وشرفه. في هذا اليوم المبارك نكرم رجلا عربيا عراقيا قد ترك الدنيا وما فيها من زخرف وبهرجة وجمال . واختفى في صومعة تارة يذكر اسم الله وطورا يقلب المعاجم اللاتينية واليونانية ويسترجع ما استعارته الاقوام من الامة العربية ويسلها من مكمنها ويضمها الى اخواتها ويعيدها الى وطنها الاصلي .

نكرم اليوم الاب انستاس ماري الكرملي العربي محتدا واروعه ذلك الرجل الذي خدم لغة القرآن منذ حداثته حتى كسته الاعوام اكليلا من اكاليل الوقار وهو « الشيب » الذي يلوح في رأسه وفي عارضيه . واحتفال هذه الوجوه الشريفة بهذا الرجل العالم دليل على ان العراق الوائب الناهض السباق الى كل مكرمة يقدر علماءه وعظماءه على اختلاف نحلهم وعقائدهم حق التقدير

ويوفيهم حقهم ويجلهم اجلالا عظيما .

خدم الاب لغتنا المحبوبة ورفع شأنهـا وخدمها خدمة صادقة فهو لذلك جدير بالتكريم والتبجيل والاحترام الكثير . ولكل لغة في الحياة صلة قوية بالقومية وعلاقة كبيرة بحياة الامم السياسية والاجتماعية وقد اجمع العلماء على ان للغة تأثيرا عظيما في حياة الشعوب لان اللغة اداة ابث الاحساس والشعور وهو قوام الادب . والامة التي لاينفشي فيها الحس الادبي لايتفشى فيها الاحساس الوطني وقد عانت الامة العربية خلال اربعـة عشر قرنا مصائب جمة وتوالت عليها النكبات ونزلت بها الملمات والظلمات . وثقوا ايها السادة الافاضل لو لا القرآن الذي يتلوه العربي في العشية والضحى لاصبحت الامة العربية اثرا بعد عين .

ألا فليعش القرآن ! ولتعش اللغة العربية المحبوبة !

ايها السادة في منتصف القرن الرابع الهجري ولد في مدينتنا بغداد هـذه علويان شريفان زكيان هما السيدان الشريفان الرضي والمرتضى ولدا العلوي الشريف ابي احمد الحسيني نقيب نقباء الطالبيين وقد تتلمذا للامة عصرهما صاحب الحجج القاطعة الشيخ المفيد رحمه الله واخذا العلوم العربية الاخرى عن عظماء النحويين والمحدثين والمفسرين واللغويين كابن جني والسيرافي وغيرهم .

وقد نشأ الرضي وبين جنبيه نفس شريفة لا تضام وفي عروقه دم عربي هاشمي وقد غلب على طبعه الشعر كما غلب على طبع اخيه العلم وكان الرضي شاعر قريش واديب الطالبيين شجاعا جريئا كبير الروح فخورا شريفا غير آبه لسلطان الخليفة . ومن شعره الذي يخاطب به الخليفة قوله :

مهـلا امير المؤمنين فانما في دوحة العلياء لا تتفرق
إلا الخلافة ميزتك فانني انا عاطل منها وانت معلوق

وقد نشأ في ذلك اليوم ايضا اديب كبير وكاتب محرر هو ابو اسحق الصابي صاحب الرسائل الشهيرة وكان كاتب الدولة اذ ذاك فتعرف بالسيد الشريف الرضي وتوثقت بينهما عرى الصداقة والمودة والف الاديب بين قلبيهما حتى افتتن كل واحد بصاحبه وكان اذا حل شهر رمضان صام ابو اسحق الصابي مجاراة للرضي وكان اذا قصد ابو اسحق الصابي الذهاب الى الرضي مشى اليه

حافي الاقدام اجلالا لقدره ولما خطفت يد المنون روح ابي اسحق حزن الرضي حزنا شديدا وبكى صديقه ورثاه بقصيدة عصماء خلد بها ذكر ابي اسحق وهي التي قال في مطلعها :

ارأيت من حملوا على الاعواد ارأيت كيف خبا ضياء النادي

ومن الشواهد على مروءة الرضي ووفائه انه مر ذات يوم بقبر ابي اسحق الصابي صاحبه وخليله فترجل هو وحاشيته ووقف على قبر الصابي باكيا منشدا :

لولا ينم الركب عندك موقفي قبلت قبرك يا ابا اسحق

وقد شاء الله ان يقتفي ذلك الحب المتبادل بين الرضي والصابي بعد عشرة قرون في قلب حكيم عراقي وشاعر عظيم اذا قال كلمة احدثت تلك الكلمة دويا في ارض الله وهزت النفوس والاعصاب هو استاذنا شيخ الشعراء جميل صدقي الزهاوي الذي يكرم اليوم الكرمل كما كان يكرم الرضي صاحبه الصابي في مجلسه العظيم .

ان هذا الوداد المتبادل بين الرضي والصابي قبل قرون وبين الزهاوي والكرمل اليوم برهان ساطع على ان المسلمين من العرب يعيشون مع اخوانهم العرب المسيحيين بوئام ووفاق وإخاء تجمعهم الجامعة الوطنية وتربطهم الرابطة القومية وسنتهم الدين لله والوطن للجميع :

وعشنا وعاشت في الدهور بلادنا جوامعنا في جنبهن الكنائس

وسوف يعيش الشعب في وحدة له عمائمنا في جنبهن القلانس

ان للاب المستغل به شهرة واسعة في الغرب والشرق ومكانة عظيمة في قلوب العلماء الاجلاء ما يدل على فضله وتضلعه من اللغة ولا ادعي ان الاب معصوم من الخطأ فهو انسان ولكل انسان خطيئات وحسنات إلا ان الحسنات يذهبن السيئات ونحن في تكريمنا الاب نكرم العلم في شخصه مقدرين اعماله وحسناته وفضله غير ناظرين الى شيء سوى ذلك . والواجب على كل شخص منصف ان يفكر في اعمال الرجال لا في الرجال جريا على قاعدة « فكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » تلك القاعدة العظيمة التي وضعها السادة الصوفية .

احمد حامد الصراف